14 أكتوبر 4

ملحق خاص بمناسبة أعياد الثورة اليمنية الخالدة (14أكتوبر)

8 صفحات | الاحد 14 أكتوبر 2007م الموافق 3 شوال 1428هـ

المرأة والثورة

دور المرأة في الكفاح المسلح

فاطمة محمد بن محمد

شكل الموقع الجغرافي المتميز لمنطقة الضالع حلقة وصل بين الشمال والجنوب، مما جعلها محط صراع بين الأنظمة الحاكمة المتعاقبة في شمال الوطن، من الأتراك والأئمة والاستعمار البريطاني في الجنوب إذْ أنّ السيطرة على منطقة الضالع كانت تعني حماية عدن بالنسبة للمستعمر وتهديد عدن بالنسبة للإمامة.

الهيمنة الاستعمارية بالحماية منذ عام 1928م، ثمّ بالتدخل المباشر حتى عام 67م، في ظل وجود نظام حكم محلي ضعيف يعتمد على الاستعانة بالمناطق الأخرى لتثبيت حكمه، ورفضه للسياسات الاستعمارية والحكم الأميري الذي عبّر عنه باتنفاضات متوالية منذ انتفاضات بلاد الشعّار التي امتدت عشرات السنين حتى أصبحت مثلاً شعبياً متداولاً حديد ونار أمير وشعّار "وانتفاضات الأزارق وانتفاضة الشيخ الشهيد محمد عواس الذي قتل أول ضابط سياسي بريطاني في الضالع هو "المستر دايفي" ثمّ انتفاضة الشهيد عبدالدائم محسن الذي حاول اغتيال المستر "سيجر" عام 1950م، ومن المعروف أنّ (سيجر) هو صاحب خطة البساط السحري التي جّرت اليهود من عدن واليمن كلها إلى فلسطين، التأثير المباشر للانتفاضات المسلحة في منطقة ردفان عامي 57 و58م المعروفة لدينا التي هي في 1957 – 1958م بخرجة ردفان الأولى وخرجة ردفان الثانية ومن قبلها الانتفاضات التي كانت تحدث في يافع والمعروفة في الضالع بخرجة يافع.

تصاعد النضال الوطني ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب والحكم المحلي في الشمال وتأثيراته على المنطقة وبالأخص عند اشتراك كثير من أبنائها في النضال العمالي في عدن (في مصافي عدن) وتعرضهم للعقوبات التعسفية من فصل وإبعاد وعودتهم إلى المنطقة والتحاقهم بالنشاط السياسي والعمل العسكري في الانتفاضة.

انتشار المد القومي التحرري في المنطقة كما حدث يمنياً وعربياً منذ قيام ثورة يوليو وزعامة عبدالناصر وانطلاقته الفاعلة خلال معركة السويس وثورة الجزائر وما لحقهما من أحداث قومية، عملت على خلق وعي قومي تحرري بين مختلف فئات المجتمع ومنها المرأة إذ ساعد ذلك الوضع السياسي المتفجر ضد الاستعمار على تشكل الوعي بأهمية التحرر منه.

قيام ثورة 26 سبتمبر التي كانت بمثابة إعلان ميلاد اليمن الجديد والتحاق المئات من أبناء المنطقة بصفوف المتطوعين في الحرس الوطني للدفاع عن الثورة والجمهورية وإحباط ومقاومة النشاط المعادي من قبل العناصر الملكية التي جمعت قواها في الضالع، والتي كانت قاعدة للعمل التخريبي ضد الثورة والجمهورية وكان للمرأة مواقف مشرفة في مواجهة فلول الملكية وصلت إلى درجة قذفهم بالحجارة، وكيل الشتائم ومنع الزاد والماء عنهم بالرغم من العقوبات التي هدد الأمير باتخاذها بحق كل امرأة تتعرض لملكي.

انطلاقة ثورة 14 أكتوبر من ردفان والتي أعلنت بدء عهد جديد في النضال الوطني ضد الاستعمار وركائزه ودعم وتأييد أهالي منطقة الضالع للثوار ولمواطني ونازحي ردفان، بسبب الحرب الهمجية الاستعمارية على قراهم ومزارعهم ومواشيهم ناهيك عن إيصال الزاد والسلاح إلى الجبال، وقد كانت الضالع هي المنفذ الوحيد للتواصل معهم من جهة ومع قيادة الثورة والجمهورية من جهةٍ أخرى، وفي الوقت نفسه أججت المشاعر ودفعت الناسَ في ضرورة تفجير جبهة الضالع.

على المستوى الثقافي:

كانت الثورة قد وفرت تجربة كبيرة في صنع وعي المواطنين، ومنها المرأة التي واجهت ببسالة كل ويلات الخراب والدمار والتشريد والحصار الذي كانت تقوم به القوات الاستعمارية لإخماد ما كانت تسميه "بمواطن الفتن"، كما كانت المرأة أيضاً هي مصدر القوة في تلك الانتفاضات تزرعها في عقول وأفئدة أبنائها، وقد كانت تؤكد لي ذلك المناضلة جنة أحمد البيشي الشقيقة الكبرى للشهيد المناضل (علي عنتر)، وأود الإشارة إلى ما قاله الأخ محمد غالب أحمد وأنّ من أطلق عليه اسم عنتر هي أخته وهو في الخامسة من عمره، التي كانت تصر على أن تسميه عنتر تشبيهاً بعنترة بن شداد وتربيته تربية فروسية، لأنْ يكون مثل عنترة بن شداد في الأساطير.

الدور الإعلامي الكبير الذي لعبته إذاعتا القاهرة وصوت العرب بنشر وتعميق الوعي القومي التحرري وتبني دعم النضال الوطني، في جنوب الوطن وبث الأناشيد القومية والوطنية، وقد كان المذياع تنبع أهميته من كونه المصدر الوحيد للوعي الذي تتلقاه المرأة في ظل الجهل المسيطر عليها، ولذا كان جهاز الراديو في الضالع في بداية الستينات متطلباً ضرورياً كالماء والهواء قد تضطر المرأة إلى بيع مصوغاتها في سبيل الحصول على جهاز راديو.

التكوين الاجتماعي القائم على الترابط والتكافل والتشابك الأسري والتجمعات الدينية الدائمة وبالذات في ليالي رمضان والاستماع إلى الكتب التي كانت تقرأ من كتب السيرة في الفتوحات الإسلامية وفتوحات الشام.

الدور المهم الذي لعبه المتنورون من المتعلمين والأساتذة ورجال الدين وبروز رموز سياسية كانت لها مواقف سياسية تتغنى بالانتفاضات وبمقاومة الاستعمار وكانت أشهرها الشاعرة (معجبة بنت مهدي)، التي تغنّت بانتفاضات ردفان وحتى بهتلر وبالحرب العالمية الثانية ضد الإنجليز لكراهيتها للإنجليز وتغنت بمواقف آل قطيب في 57 و 58م وبانتفاضة جحاف وبحيدرة، لأنّها كانت من المؤيدين للأمير (حيدرة).

وقد حدث أول رفض نسائي للنظام السياسي والاجتماعي السائد في الضالع في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات في خروج عدد من بنات بهربة ليلية مرافقات للشيخ ياسين وهن من بنات المشايخ والوجهاء والأعيان، وكان معلمهن آنذاك وهو أحد رموز الإخوان المسلمين الذين وصلوا إلى الضالع وأرادوا نشر فكر الإخوان المسلمين أو الدعوة الوهابية، وبالرغم من تلك الهزة العنيفة إلا أنّ الأمير لم يغير من سياسته إزاء منع تعليم الفتيات اللاتي لم تبنَ لهن مدرسة إلا في النصف الأخير من عام 1965م.

على المستوى الاقتصادي كان الفقر والمرض والجهل هي السمة المشتركة لغالبية سكان المنطقة حتى أصبح التقويم الذي يؤرخ به الناس أحداثهم يعتمد على الحوادث فيقولون سنة الجوع وسنة الهناء وسنة الشجري وسنة ما خرجت يافع وسنة ما هربت ردفان وسنة مقتل دايفي وسنة الحرب بالبحر.

سياسة الإفقار والتجويع التي اتبعها الحكم الأميري تجاه من كان يسميهم بالرعية بفرض الزكاة

←

المقدرة والضرائب الباهظة والمصادرة وإحراق المزارع وفرض إجراءات عقابية ضد من كانوا يسمون بالمناوئين أو بالمخربين، ناهيك عن فرضه إعالة وخدمة كل جندي أميري على أسرة من الأهالي من الجند الذين كان يستأجرهم من المناطق المجاورة لإخماد الانتفاضات الشعبية وأذكر حادثة أنّه في عام 1944م، حينما بدأت ألمانيا النازية تتلقى الهزائم وكان أمير الضالع حينذاك الأمير حيدرة بن ناصر بن علي شايف مؤيداً لألمانيا فخوفاً من أن تقوم بريطانيا بالانتقام منه وسلبه السلطة أمر بالتبرع لصالح الحلفاء دعماً باسم إمارة الضالع وفرض على كل مواطن (قرشين فرنصا) مما اضطر المواطنين إلى بيع أضحيات العيد حتى أنّ إذاعة (برلين) أذاعت الخبر متهكمة بأنّ الرايخ قد اهتز من تبرعات أمير الضالع إلى جانب بريطانيا حتى أنّهم قالوا : إنّ مواطنيهم صرخوا حينما سمعوا الخبر بأنّ الأمير حيدرة سلم التبرعات ولم يصادرها، وقد تحملت المرأة الكثير من هذه الأعباء في ظل غياب الرجل، فتحملت المسؤوليتين : مسؤوليتها في البيت ومسؤوليتها في الحقل في الزراعة. كما أنّ كثيراً من النساء كان العمل الذي يقمن به لكسب القوت هو جلب المياه والحطب إلى بيوت المقتدرين وطحن الحبوب في بيوت الأمراء والمشايخ، وكان يوجد أيضاً مكان لطحن البردقان وخدمة القوافل التجارية المتنقلة القادمة والنازلة من صنعاء إلى عدن والعكس.

من أهم الإجراءات الاقتصادية التي أثرت على حياة الناس كانت مشاركة الأمراء للتجار الكبار في أموالهم بالنصف من خلال الحصول على النصف في الكسب وعدم تحمل الخسارة مما عرض كثيراً من التجار إلى خسارة كبيرة في ظل اشتراط بريطانيا الضمانة من الأمير حتى تسمح لهم بالتجارة في عدن.

الترتب الاجتماعي كان في منطقة الضالع على النحو الآتي :

الأمـراء، المشايخ، الوجهاء، القادة العسكريون، التجار، الجند، الموظفون، الرعية، اليهود، العبيد، الأخدام. وكان واضحاً اتساع الهوة بين الفئة الحاكمة التي تملك كل شيء وسائر الفئات المطحونة، التي هي رعية ملك للحاكم، كل الامتيازات للأسرة الحاكمة وأعوانها في المأكل والملبس والمسكن والخدمات العامة ووسائل النقل. لقد كان محرماً على أية امرأة حتى ولو كانت من بيت تاجر أن تلبس ثوباً يضاهي ثياب نساء الإمارة، كما منع التزين بالحلي، فمنع على كل امرأة ما عدا نساء الأسرة الحاكمة أن تلبس الذهب في المناسبات، وكل من كانت لديها حلي من الذهب ظل مكنوزاً حتى رحيل الإمارة، ظلت خدمات المياه والكهرباء محصورة في حي الإمارة حتى عام 66م، حينما حاولت السلطة الاستعمارية تجميل اتحاد الجنوب فأدخلت بعض الخدمات من مدرسة ومستشفى ومشروع مياه ولم تحاول الإمارة الاستفادة من أي نظام عند جيرانها، كما كان في سلطنة لحج في المجالات الصحية والتعليمية والزراعية ولذلك ظل الوضع، كما هو عليه حتى كانت الإصلاحات البريطانية، هذا الواقع أفرز نقمة شعبية واسعة بالذات من المرأة التي كان يقع عليها دائماً الأضعاف المضاعفة.

أبرز ملامح نضال المرأة في الكفاح المسلح في جبهة الضالع

أولاً : كون المرأة شكلت مدرسة النضال الأولى، حيث سبقت الإشارة إليها إلا أنّ المعاناة التي عاشتها المرأة اليمنية في منطقة الضالع على مدى خمسين عاماً شكلت أهم روافد وعيها الوطني والقومي الذي تجسد في حياتها اليومية كمنظومة أخلاقية مترابطة التزمت بها شخصياً وأسرياً واجتماعياً.

فعلى المستوى الشخصي كانت واعية لخصوصيتها كامرأة ودوماً ما يُنظر إليها البعض بإعجاب وذلك وبوعيها في قدرتها على تحويل ذلك الضعف إلى قوة والانتقال إلى موقع الحامي والمدافع عن العرض والشرف وهو ما أثبتته خلال الانتفاضات المستمرة، ومع قيام الثورة وانطلاق الكفاح المسلح كانت قد اكتسبت من الخبرة والوعي ما يجعلها قادرة على التعامل مع الواقع المعاش بإيجابية كشريكة في المسؤولية، وبرز تيار النساء وتمتع بقدر كبير من الوعي الوطني والقومي وكانت له مواقفه منذ عدوان 56م والتبرعات لصالح الثورة الجزائرية والإضراب أو الإعلان لرفض سجن أحمد بن بله.

وعلى المستوى الأسري وعت دورها الذي يسند إليها كالمسؤولية في الإنجاب والتربية إلى جانب مسؤوليتها في القيام بأعباء رب الأسرة مادياً ومعنوياً في المنزل وفي الزراعة، إضافة إلى كل ذلك فإنّه كان مطلوب منها تربية أولادها تربية نضالية.

وعلى المستوى الاجتماعي أدركت أنّها جزء من المجتمع الذي تعيش فيه وعليها العمل على وحدته وصونه وتحمل نصيبها في النضال والتضحية عن رضا وإيمان لا عن إذعان وقبول بالأمر الواقع، ومن هنا تبوأت المرأة في هذه المنطقة المكانة المتميزة طيلة مسيرة الكفاح المسلح، فلم تعد نقطة ضعف ولا مصدر خوف، بل لقد أصبحت بفضل كونها امرأة قادرة على توظيف تلك الخصوصية في القيام بالمهام التي يعجز الرجل عن القيام بها وهو ما سوف نعرضه في السطور الآتية :

ثانياً : المرأة في جبهة القتال :

حينما تواصلت مع عدد من المناضلات في جبهة الضالع علمت أنّهن ما زلن يحتفظن بأسلحتهن التي شاركن فيها إبان الكفاح المسلح، وأدهشني أكثر حينما أخبرنني أنّ ذلك السلاح يتمثل في ألغام وقنابل وبنادق ورشاشات وبازوكات فقط، ومرد احتفاظهن به – كما قلن – لاعتبارهن ذلك السلاح هو الشاهد المنصف على نضالهن الباسل ومبعث الفخر والاعتزاز لهن أمام أبنائهن وأحفادهن.

وعلاوة على ذلك فهو يرمز إلى مرحلة عزيزة في حياتهن شاركن فيها في تحرير الوطن، ومن خلال الشهادات التي حصلت عليها من كثير من المناضلات ومن قيادات الكفاح المسلح يمكنني إجمال أبرز ملامح النشاط العسكري للمرأة في جبهة الضالع على النحو الآتي :

- الاشتراك المباشر في العمليات العسكرية جنباً إلى جنب مع الثوار وباستخدام كافة أنواع الأسلحة، ومن تلك المعارك معركة حياز والهجوم على المظلوم ومعركة علي القراعي وعدد من الهجمات على المطرح وهو المعسكر الرئيس للقوات البريطانية في الضالع.
- القيام بتنفيذ عمليات عسكرية كاملة تمثلت في التقطع لسيارات الجيش البريطاني وإطلاق النار عليها، وقد أفادتني المناضلة علياء المنصوب بقولها (كنا ننفذ الهجوم ونخفي السلاح داخل الزرع ونتظاهر بأننا نقوم بأعمال زراعية وعندما تسعى القوات العسكرية البريطانية للتفتيش عن المهاجمين كانوا يتركوننا لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ من يقوم بتلك الهجمات رجال ولم يشكوا أبداً من أنّ المهاجمات نساء).
- نقل الأسلحة الثقيلة إلى مواقع قريبة من الأهداف المحددة لهجمات الثوار وإخفائها وكان يتم إدخال الأسلحة بين الأعلاف والحطب الذي كانت تحمله النساء على رؤوسهن ومن مسافات طويلة امتدت عشرات الكيلو مترات، بالذات بعد قصف القرى وتشريد سكانها مما تطلب نقل السلاح من قعطبة مباشرة إلى مواقع داخل الضالع.
- رصد القوات البريطانية وتحديد تجمعاتها ومعرفة وجهات سيرها وجمع كافة المعلومات عن تحركاتها ونقله إلى قيادات الجبهة.
- القيام بعمليات استطلاع ومراقبة مستمرة للطرق والوديان والشعاب التي يمر منها الثوار حتى لا يتعرضوا لكمائن معادية.
- نقل وتوزيع الأسلحة على الأفراد والمجموعات في الداخل، الموزعين على القرى والجبال وفي أحياء المدينة.
- حماية وتسهيل انسحاب الثوار وتأمين طرق عودتهم إلى مراكز تجمعهم وضمان سلامتهم.
- حمل الجرحى حتى لا يعيق الانشغال بهم المقاتلين فيمكّن القوات المعادية من اللحاق بهم.
- مواجهة حملات المداهمة والتفتيش عن الثوار وعن الأسلحة والمنشورات في بيوت الثوار وأنصار الثورة وأعمال الاستفزاز.
- مواجهة أعمال القصف الجوي والبري، للقرى الآهلة بالسكان والتشريد والطرد الجماعي وإحراق الزرع والضرع في موجات العقاب الجماعي الاستعماري.

النشاط السياسي :

- نقل وتوزيع المنشورات والبيانات الصادرة عن الجبهة في مختلف أطرها العملياتية والسياسية والإعلامية والطلابية.
- إخفاء الثوار وتأمين خروجهم عندما يتعرضون لكمائن معادية.
- إخفاء تأمين المشاركين في المظاهرات والمسيرات وملاحقة القوى المعادية.
- القيام بالتواصل والتنسيق بين الثوار في الأماكن المختلفة التي يتمركزون فيها وبين قيادات وقواعد العمل السياسي والطلابي في ظل حظر التجول الذي فرض على مدى أربع سنوات.
- متابعة ورصد النشاط التجسسي للسلطات الاستعمارية وأعوانها والإبلاغ عنهم.
- التواصل مع القيادات التي فرضت عليها الإقامة الجبرية في المنازل وإبلاغ تعليماتهم إلى الأطر العلنية.
- جمع التبرعات لجبهات القتال والتشجيع على استمرارها وشرح أهميتها والإشادة بأهم المتبرعين والمتبرعات لصالح الثورة.
- زيارة أسر الشهداء والجرحى والمنكوبين والتضامن معهم ورفع معنوياتهم.

النشاط الدعائي :

- إقامة التجمعات النسائية للاستماع إلى الإذاعات المؤيدة للثورة.
- التحريض على الاشتراك في القتال وفي المسيرات والمظاهرات والإضرابات، خصوصاً في أوساط الطلاب الذين كانوا هم زخم تلك الانتفاضات.
- نشر أخبار الثوار ونشاطهم المسلح بين المواطنين وتوزيع الصحف والمجلات اليمنية والعربية التي يتم إدخالها من شمال الوطن وتتناول موضوعاتها الكفاح المسلح ونشاط جبهة الضالع وصور الثوار.
- متابعة ونشر ما يبثه الإعلام الوطني والعربي عن الثورة والدعم العربي لها.
- تحدي الإجراءات الاستعمارية المفروضة ضد الإعلام الوطني والعربي المؤيد للثورة وبالأخص إذاعات صنعاء، تعز، القاهرة وصوت العرب، وكانت المرأة تعمد إلى رفع أصوات المذياع وتقوم بضرب الجواسيس المخصصين لرصد المستمعين لتلك الإذاعات، خصوصاً عشية خطابات الزعيم جمال عبدالناصر.
- إفشال النشاط الدعائي المعادي ورصد مصادره.
- معرفة أخبار الأسرة الحاكمة وأعوانها وحالتهم النفسية وذلك من خلال النساء اللواتي كن يعملن داخل بيوتهم.
- التغني شعراً بالثورة والثوار وبالرئيس عبدالناصر في الأعراس وبالرئيس السلال ونشره والرد على الشعر المضاد.
- رفع صور الزعيمين عبدالناصر والسلال في البيوت بالسر رغم أنّها كانت محظورة بأوامر السلطات الاستعمارية، وكان رفعها واقتناؤها يمثل إدانة لمن يفعل ذلك، ومن أشهر المواقف الوطنية والقومية هو رفض إحدى الأخوات (دنيا محمد الصافي) إخفاء أو إنزال صورة الزعيم عبدالناصر من الجدار مقابل عدم تنفيذ المستر (ميلن) هدم بيتهم ولكنها رفضت وعند إصرارها قام المستر ميلن بهدم بيتهم الجديد الذي لم يسكنوه سوى

←

أسبوع واحد.

النشاط الاجتماعي :

- القيام بالدور الأساسي لها، كأم وزوجة تقع عليها مسؤولية أسرية وفي مقدمتها الإنجاب، بالإضافة إلى ما كانت تعانيه، وقيامها بواجبها النضالي والأسري معاً، وكم من مناضلة وضعت وليدها وهي في شعب أو جبل أو واد أو تحمل الزاد أو السلاح إلى الثوار، والإشراف المباشر في تحمل مسؤولية الأسر المشردة والمطرودة جراء القصف البريطاني لقراهم ونزوحهم إلى مدينة قعطبة ولسنوات عديدة في ظل غياب الرجال في جبهات القتال.

- توفير الزاد والماء والدواء للثوار من جهة وللمشردين في قعطبة من جهة أخرى.
- التضامن والتكافل الاجتماعي والاقتصادي المرهون بالقناعة والقبول من النساء، مما عزز الروح المعنوية بين المقاتلين.
- التعامل مع التخفيف في الحالة النفسية من الخوف والقلق ومن شبح فقدان العمل الذي يرافقه الموت.

وتقديراً واحتراماً للدور الذي قامت به هؤلاء النساء، فإنني أخص بالذكر وبالاحترام والتقدير ثلاثاً، اعتبرهن رموزاً لدور المرأة في جبهة الضالع.

الأولى : المناضلة الفقيدة فاطمة ناصر البيشي وهي زوجة الشهيد علي عنتر، التي تحملت وكان لها دور كبير منذ زواجها بالمناضل علي عنتر في 61 أو 62م ومرافقتها له في التشرد، خصوصاً بعد قصف بيوتهم وقراهم ونزوحها إلى قعطبة والدور النضالي الذي قامت به.

الرمز الثاني : علياء عبدالله صالح المنصوب وهي متميزة، كونها أخت الشهيدين وبنت عم الشهيدين وزوجة شهيد وبنت خال لشهيد وقد شاركت في الكفاح المسلح داخل جبهة الضالع وهي من اللواتي شاركن في المعارك واللاتي سبق ذكرهن في القراعي وحياز والمظلوم والمرح وشاركت في أثناء خروجهم بعد قصف بيوتهم ومناطقهم ونزوحهم إلى قعطبة، وقد تلقت خبر استشهاد أخويها عبدالمجيد وعبدالله المنصوب وهي في قعطبة، وكانت قد وضعت ولديها وهي في قعطبة في جبهة القتال، أحدهم في شعب والآخر في قعطبة، كما أنّها عند عودتها لم تجد بيتاً يأويها بعد نسفه والتحاق زوجها الشهيد عبدالرحمن المنصوب مع المدافعين عن الجمهورية والذي استشهد في 2 يناير 1969م، في مدينة تعز وهو حاصل على شهادة وميدالية من جبهة التحرير وعلى سلاح قد أكله الصدأ.

النموذج الثالث : للعمل السياسي داخل المدينة، أخذت منه نموذجاً وهي : المناضلة الوالدة (فائق أحمد صالح المرفدي) والتي كان لها دور اضطرت معه إلى مواجهة المستر (ميلن) الذي حكم على بيتها بالنسف لولا أنّه اكتشف أنّه ليس بيتها وإنّما لها فيه شركاء، وكانت مناضلة جسورة كان صوتها صدىً شعرياً في الأعراس وفي مواجهة الشعر المضاد وفي الرد على الشعراء العملاء وكان لها دور بارز، حتى أنّها تواصلت عبر إذاعة صوت العرب وبثت لها بعض من أشعارها، ومن مواقفها ولو أنّه للأسف لا يوجد الكثير من شعرها الموثق ولكن استطعت أن أحصل من بين مذكرات والدي على بعض الأسطر التي كانت تمثل ردود فعل من قبل الأمير والاستعمار، ففي عام 1958م، حرمها الأمير من الزكاة وهي أم ميتمة لأنّها كانت تتغنى بعبد الناصر وابن بله ورفضت أن تشارك في أعراس الأمير أو أي أحد من أسرة الإمارة طوال فترة وجودهم، من 1956م حتى رحيلهم، ومن أجمل ما استوقفني حينما انطلقت الثورة في ردفان قولها :

يا شوق شوقي متى باتصل للمسامع
يا حيد ردفان قا خلي الرأس رافع
من حضرموت لما عدن والصبيحي ويافع

ضرب الرصاص دوى والمدافع
ونحن هنا با نلحقه ندك هذه المواقع
يسقط الاتحاد والعميل المخادع

وفي عام 1964م، تغنت بقصيدة بعد وصول الدعم العربي للثورة اليمنية شمالاً وجنوباً ومن أقوالها :

في ضفاف النيل قد أشرق صباح
من قمم ردفان فجَّرنا الكفاح

كبر السلال حي الفلاح
مصر هب بالرجال هم والسلاح

ما نخاف الغرب أو نخشى نباح

وتضامناً مع القضايا العربية والقومية كان لها أيضاً في هذه المعارك دور إذ تقول :

ثور الشعب العظيم اهزمي الليل البهيم أشعليها من لهب
وحدي كل الجيوش حطمي هذه العروش حرري كل العرب
درب ناصر ومشير إلى فلسطين المسير الجهاد فيها وجب

ومن أجمل ما عثرت عليه، قولها وهي في عام 67م حينما اتهمت بالعمالة والخيانة فردت عليه وقالت :

نحن علمنا جمال
وحدتي ما هي محال
النساء هي والرجال
بنت أحمد صوت عالٍ

من على خط القتال
والتحقنا بالنضال
دمنا ما السيل سال
عاد شعري ما لنصال

وقد كان لها مواقف وأشعار كثيرة لولا أنّه لا يوجد لدينا توثيق، اكتفي بهذا .. وعفواً على الإطالة و... شكراً.

المرأة اليمنية المناضلة

أدوار مشرّفة في معمعة النضال السياسي والكفاحي

ككل عام نترقب هذا التاريخ ونشرع في الكتابة عن أحداثه وفي كل مرة كأنما نلقي بحمولتنا من الكلمات والمفردات ليتلقفها القارئ ويحكم عليها كشاهد على العصر .. هل أعطينا المناسبة حقها ؟ وهي ليست بالطبع أية مناسبة ..إنها ثورة شعب تفجرت رحاها لتهشم التاج البريطاني وتهز عرش الإمبراطورية التي لم تغب عنها الشمس وتقض على مضاجع عساكرها وضباطها ومن والاهم .. ولتسطر أحرفاً من نور في تاريخ اليمن النضالي لتكون بداية النهاية لعهد الاحتلال الانجليزي المتغطرس ..

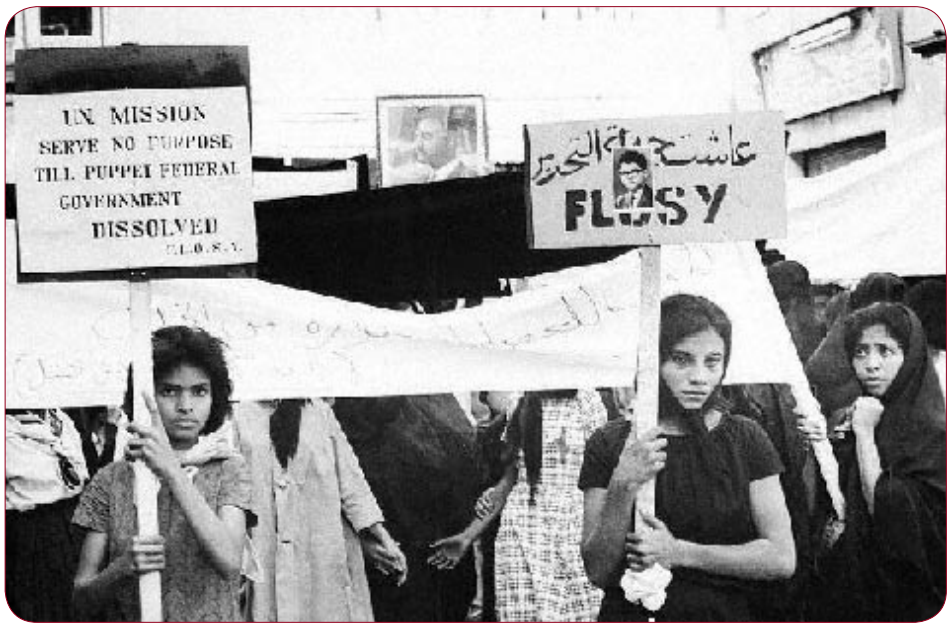

كتبت/نادرة عبد القدوس

وكانت ثورة 14 أكتوبر المجيدة التي اندلعت نيرانها من قمم جبال ردفان الأبية انعكاساً لما كان يُعتمل في كل ركن من أركان جنوب اليمن المحتل ، وكانت نتاجاً لنمو الحركة الوطنية والسياسية التي شهدت مدينة عدن بدرجة رئيسية وعدد من المدن الجنوبية ولادتها ونشوئها في نهايات الأربعينيات وبزوغها في الخمسينيات والتفاف الجماهير اليمنية المسحوقة حولها .. وكانت هناك الجمعيات الأهلية والخيرية إلى جانبها والتي كان معظمها يمثل غطاء لعنفوان النشاط السياسي الفاعل بين أوساط الجماهير التي وعت دورها النضالي وآزرت رموز القوى السياسية الثورية حتى تحقق الاستقلال الوطني في الثلاثين من نوفمبر عام 1967م .

وكان للمرأة اليمنية دور بارز في معمعة النضال السياسي منه المكشوف والواضح ، ومنه المستتر تحت غطاء العمل الخيري والاجتماعي .. وبرزت عناصر نسائية عديدة ، وإن تناساها مسجلو التاريخ ، إلا أنها عالقة في "ذاكرته التي لاتخون" .. وقد أثبتت المرأة في جنوب الوطن وبالذات في مدينة عدن قدرتها على استيعاب المرحلة النضالية السياسية وبذكائها الفطري أسهمت في ابتكار الوسائل والسبل الكفيلة في تأجيج الحماس الثوري في نفوس أبناء الشعب التواق إلى الحرية ..

فنشأت في البدء جمعيات نسائية أهلية وخيرية في نهاية الأربعينيات لتغدو في الخمسينيات وأوائل الستينيات موئلاً للعمل السياسي بين صفوف النساء ونشر الوعي السياسي بين صفوف أبناء الشعب اليمني كله .. ورغم حداثة التجربة للكثيرات ورغم صغر أعمار بعضهن ، إن لم يكن جلهن ، ورغم الواقع المتخلف للمجتمع اليمني الذي كان يفرض على المرأة قيوداً تمنعها أحياناً كثيرة من الحركة بحرية ، إلا أن ذلك لم يمنع المرأة اليمنية والعدنية بالذات من خوض غمار الفعل السياسي وسبر أغوار أسراره ومخر عباب البحر الهادر .

للمرأة اليمنية دور بارز في النضال منه المعلن و المستتر تحت غطاء العمل الخيري والاجتماعي

ويسجل التاريخ أسماء نسائية عديدة كان لها شرف الريادة في النضال السياسي والاستشهاد .. ومن لا يذكر الشهيدة لطيفة علي شوذري التي استشهدت برصاص قناصة بريطاني أحمق وهي في مقدمة مظاهرة سلمية معظمها من النساء في مدينة كريتر عام 1965م . ورغم صغر سني يومها (10 سنوات) إلا إنني أذكر تماماً ذلك اليوم فقد شهدت المظاهرة وشهدت استشهاد رفيقة الطفولة لطيفة التي كانت تسكن بجوارنا في الحي الشعبي البسيط المتميز بفقرائه وكانت أسرتها واحدة من هؤلاء وكانت لطيفة المعيلة الوحيدة لها فقد عملت وهي في عمر الزهور كجندية في شرطة كريتر ، وفي الوقت نفسه كانت تنشط سراً في إحدى الخلايا الوطنية الفدائية ..

وما نود أن نسأله هنا " أين موقع المرأة اليمنية المناضلة من مراكز صنع القرار اليوم ؟" ألم تستحق عناصر نسائية كثيرة من المناضلات أن تتبوأ مراكز قيادية في السلطة بعد تحقيق الاستقلال ؟ وهن لا يقللن ثقافة وفكراً عن زملائهن الرجال الذين بعضهم لم يشاركوا في الكفاح المسلح ولا حتى في الحركة الطلابية التي تزعمتها الطالبات في عدن والتي يشهد لها التاريخ دورها النضالي المباشر ضد الاحتلال ؟ بل إن كثيرات من المناضلات تم تهميشهن عمداً وإصدار الأوامر برميهن في غياهب النسيان .. والسبب أنهن كن ينتمين إلى تنظيمات سياسية مناوئة للتنظيم السياسي وحلفائه من التنظيمات والفصائل الوطنية الأخرى التي شاركت في الحكم بعد الاستقلال .

تذكر المناضلة رضية إحسان الله وهي من أبرز المناضلات اليمنيات إبان الاحتلال وكانت من المغامرات الجريئات والجسورات اللاتي خضن العمل السياسي دون خوف أو وجل من قمع جنود السلطة الاستعمارية وذاقت صنوف التعذيب النفسي وهي في زنازينهم " لم يكن نشاطي السياسي منظماً بل كان عفوياً يدفعني إلى ذلك حبي لوطني وتوقي إلى الحرية من نير الاستعمار وكسر القيود التي كبلت المرأة دهراً " وتضيف هذه المرأة التي ناهزت اليوم العقد السابع والمنزوية في شقتها الهادئة المتواضعة دون أن يذكرها أحد ولو بالسؤال عن صحتها ، وهي التي أسست جمعية المرأة العربية عام 1960م وكانت من أبرز الكيانات النسائية العدنية حينها والتي لعبت دوراً بارزاً في النشاط السياسي " لم نكن نحن الفتيات نفتعل حماسنا الثوري ولم نكن ننتظر مقابل هذا الحماس كأن يدفع لنا المال أو المدح .. لا لا إن سعادتنا كانت تكمن في إلقاء خطاب سياسي أمام عدد من النسوة أو في ندوة كانت جمعيتنا تنظمها وكنت ألقي الكثير من الخطابات الاجتماعية التي تناقش قضايا الأسرة والمرأة ومساواتها بالرجل تلك الخطابات كانت لها ردود أفعال عند المواطن المتلقي وكنا نشهد على وعيه من خلال النقاشات ومن تم كنا نتدرج في الخطاب لنلامس الواقع السياسي مما يفقد صواب سلطة الاحتلال فتعمد إلى توقيفنا ومتابعة نشاطاتنا ومراقبتنا واعتقالنا في كثير من الأحايين وهو إرهاب كان يمارس ضدنا إلا أنه لم يكن يثنينا عن الاستمرارية ..

وكنا ندخل البيوت ونلتقي نسائها ونقوم بتقديم بعض الدعم المادي والعيني ، كما كنا نقوم بتنظيم عدد من النشاطات الفنية والثقافية ليذهب ريعها للأسر الفقيرة أو لأسر العمال المعتقلين في سجون الاحتلال البريطاني في عدن والذين كانوا ينتفضون ضد السياسة الاستعمارية والقوانين الجائرة التي كانت تصدر عن سلطات الاحتلال كما حدث عام 1960م حين صدر قانون منع الإضراب " .

كثيرة هي المشهديات النضالية التي رسمت معالمها الرائعة المرأة اليمنية في هذا الجزء من الوطن . وفي خضم التفاعلات الثورية استمدت العناصر النسائية الشابة حماسها الوطني وكانت قد بدأت تتشبع بأفكار القومية العربية التي جاءت مع رياح الثورة المصرية وما يعتمل في الجمهورية الفتية من تطورات في مختلف مناحي الحياة . وكانت أول مظاهرة نسائية خرجت في عدن ضد سياسة الاحتلال والسياسة التربوية الاستعمارية في الأول من فبراير عام 1962م حين ارتفعت أصوات طالبات كلية البنات إلى عنان السماء معبرات عن رفضهن السياسة التربوية والتعليمية في كليتهن ، وطالبن بتعريب التعليم وبفتح المجال للحصول على شهادة الثقافة العامة أسوة بالطلاب الذكور كما طالبن بتغيير مديرة الكلية الإنجليزية . وقد أعلنت الطالبات إضرابهن عن التعليم واعتصامهن في الكلية مما أدى إلى اعتقال بعضهن والتحقيق معه .

كانت المناضلة عيشة سعيد ناليه واحدة من هؤلاء الطالبات الجسورات ، وهي تحدثنا عن ذلك اليوم مما تجود به ذاكرتها " لن أنسى ماحييت ذلك اليوم فقد كان الموقف رهيباً .. لأننا كنا عدد من الطالبات اللاتي رفضن إدارة مديرة الكلية الإنجليزية آنذاك والسياسة التعليمية في الكلية . وكانت المديرة " بتري " معروفة بعنجهيتها وقسوتها ومعاملتها الفجة تجاه الطالبات .. فقررنا الخروج بمظاهرة نعبر فيها عن رأينا ولنلفت وزارة المعارف .. طبعاً كان خروجنا في المظاهرة عفوياً دفعنا إلى ذلك رغبتنا في التغيير وحماسنا الوطني .. ولم نكن ندرك خطورة هذا الفعل ولا نتائجه .. فقد تم اعتقال عدد من الزميلات وكنت واحدة منهن ، كما أصيب البعض بجروح بسبب الضرب المبرح من قبل جنود الاحتلال الذين تصدوا للمظاهرة بعنف " .

إلا أن المظاهرة العفوية تمخضت عنها ردود أفعال إيجابية بعد أن تطورت الأزمة فاستشعرت السلطات البريطانية حينها خطورة الموقف ، خاصة وأن الحراك السياسي والثقافي الذي تقوده أحزاب وتنظيمات سياسية ووطنية يلوح بإحداث متغيرات على السطح يهدد وجودها . وكانت مظاهرة الطالبات وإضرابهن بمثابة جرس الإنذار حيث استقطبن في صفهن عدداً كبيراً من المواطنين الرافضين الوجود الاستعماري .

الجمعيات النسائية الأهلية والخيرية التي انشئت في نهاية الأربعينيات صارت في الخمسينيات وأوائل الستينيات موئلاً للعمل السياسي

لذا قام بعد ذلك حاكم عدن " تشارلس جونستن " بتشكيل لجنة من أولياء أمور الطالبات ، ولجنة أخرى تمثل وزارة المعارف لبحث السياسة التعليمية في كلية البنات وأسباب احتجاج الطالبات عليها . وقد حضر اجتماع اللجنتين خبير التعليم الفني في وزارة المستعمرات البريطانية "كريستوفر كوكس " الذي جاء خصيصاً إلى عدن من أجل البحث في هذه القضية . وكانت النتيجة أن تم تغيير مديرة الكلية وإن كانت إنجليزية أيضاً وتدعى الآنسة "أنجير" وفتحت الكلية أبوابها في 15 أكتوبر 1962م ، ونجحت الطالبات كذلك في إرغام السلطة على تعريب بعد المواد التعليمية كما تم رفد الكلية بعدد من المدرسين الذكور والإناث الأجنبيات ، وكان عدد من العناصر النسائية التربوية العدنية عاد من الدراسة التخصصية في مجال التعليم من بريطانيا وبعض البلدان العربية .

كانت المرأة اليمنية في عدن قائدة للكثير من المظاهرات الجماهيرية المنظمة والعفوية وكانت تتقدم الحشود لتكون في مواجهة مباشرة لقوات الاحتلال ولقناصتها .. ففي أكبر مظاهرة جماهيرية حاشدة في كريتر شارك فيها آلاف المواطنين من أبناء عدن قاطبة وكأن المدينة خرجت عن بكرة أبيها ، تقدمتها النساء .. كان ذلك في 24 سبتمبر 1962م ،أي قبل قيام الثورة في شمال الوطن ، حين احتشدت الجماهير رافضة تكوين الاتحاد الفيدرالي وضم عدن إليه وتم يومها حرق مبنى المجلس التشريعي في كريتر .. وقد راح في ذلك اليوم العديد من الشهداء وجرح المئات من المواطنين وزج بالعديد منهم في غياهب المعتقلات السياسية ، وكانت رضية إحسان الله وصافيناز خليفة من ضمنهم وحكم عليهما بالسجن لبضعة أسابيع .. وهي رهن الاعتقال أضربت رضية إحسان عن الطعام تعبيراً عن احتجاجها على السياسة الاستعمارية القمعية ورفضها للاحتلال .

سلوى سليمان ،رحمها الله ،كانت واحدة من المناضلات اليمنيات اللاتي خضن غمار النشاط السياسي وهن في عمر الزهور ، وهي أيضا من أسرة كافة أفرادها من العناصر الوطنية والفدائية بما فيها والدتها المعروفة بأم الفدائيين .. المناضلة المرحومة "عيشة علي عيد" والتي سبق وأن كتبنا في صحيفتنا عنها . التحقت سلوى سليمان في إحدى الخلايا النسائية السرية للجبهة القومية ، ولم يمنعها الزواج من ممارسة عملها النضالي السياسي رغم أن زوجها لم يشارك في أي نشاط سياسي آنذاك ، فكان يشجعها عليه ويسمح لها بتأدية واجبها الوطني في نقل السلاح للفدائيين وتوزيع المطبوعات السرية والخروج في المظاهرات إلخ .. كما حكت لي قبل وفاتها بأشهر حين التقيتها في بيتها بُعيد وفاة شريك حياتها الذي تبعته بفترة وجيزة . الحديث عن المرأة اليمنية المناضلة ذو شجون ولن نفي حقها مهما كتبنا إلا إننا من خلال هذا الحيز نناشد جهات الاختصاص للبحث عن العناصر النسائية الفاعلة في الساحة الوطنية والسياسية والتواصل معها والتعرف على المستوى المعيشي لها وتوفير سبل العيش الكريم وتأمين الحياة الآمنة للكثيرات اللاتي يعشن بين ظهرانينا .. لكن منسيات .

فكيف يمكن تكريم هؤلاء النساء المناضلات اللاتي قدمن حياتهن فداء للوطن ومن أجل أن نعيش نحن الحياة الكريمة ؟ كيف يمكن إخراج هؤلاء النساء المناضلات من عزلتهن وإشعارهن بأنهن عظيمات بنضالهن الذي لم يكن ضد الاحتلال فحسب وإنما أيضاً ضد التقاليد البالية والقيود التي كانت تقيد حركة المرأة ؟ بعكس الرجل الذي كانت أبواب التعليم والعمل والنضال السياسي والوطني مفتوحة على مصاريعها ..

الشهيدة لطيفة علي شوذري استشهدت برصاص قناصة بريطاني أحمق وهي في مقدمة مظاهرة سلمية

ملكة عبد اللاه .. الفتاة المناضلة في عدن صارت امرأة مثقفة في باريس

وإذا ما فتحنا صفحات التاريخ النضالية لوجدنا أن للمرأة اليمنية وبالذات العدنية (دون مغالاة) الدور الكبير والبارز في النضال السياسي لا يقل أهمية وقيمة تاريخية عن دور الرجل بل ولعلها تفوقت عليه. ولكن لأن مجتمعنا المتخلف قد أعطى للرجل الحق في التملك وفي فرض وصايته على المرأة كحال مختلف المجتمعات العربية القبلية الذكورية المتخلفة التي حتى اليوم لا تعترف بقيمة دور المرأة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، فإن ما حدث من طمس لدور المرأة النضالي أكان إبان الطغيان الإمامي في شمال وغرب الوطن أو الحكم الأنجلو سلاطيني في جنوبه وشرقه يُعد من البديهيات التي للأسف سلمنا بها دهراً بل دهوراً .. ومعظمنا متفق مع هذا الواقع المؤلم غير السوي وغير المنطقي الذي تسود فيه سلطة الذكورة حتى في عدم تسجيل الحقائق وعدم الاعتراف بالآخر . وحتى اللحظة – وأقولها بمرارة – لم تعط المرأة اليمنية المناضلة في الميدان السياسي ضد الإمامة والاحتلال البريطاني في اليمن حقها من الذكر الكريم والرفيع كما يعطى للرجل .. فالمرأة اليمنية حملت السلاح وأوت الفدائيين ووزعت المنشورات السرية وقامت بأعمال جبارة لم يقم بها ، أحياناً ، فتوات الرجال الذين كانوا في غيهم يعمهون أو كانوا مع رموز الاحتلال والكيان الإمامي فكهون أو في بيوتهم قابعون خوفاً وفزعاً من الموت .. علماً أن معظم المنظمات السياسية اليمنية السرية والعلنية كانت تعتمد على العنصر النسائي لتأجيج الحماس الثوري بين صفوف أبناء الشعب. ولكي لا تضيع الحقائق التاريخية، قامت عدد من النساء الراسخات في العلم والمعرفة ، ومنهن من كان لهن دور نضالي في الساحة السياسية ، بفتح ملفات قديمة كانت مطوية عقوداً من الدهر غطاها غبار النسيان ألذكوري ، والكشف عن الملابسات في قضية النضال السياسي للمرأة اليمنية ووضع النقاط على الحروف.. كثيرات هن النساء اليمنيات في جنوب الوطن المحتل اللاتي كان لهن شرف الريادة في النضال السياسي المستميت ضد الاحتلال البريطاني، ،وتم الاتكاء عليها في النضال السياسي والاجتماعي والثقافي في عدن وعدد من المحميات الشرقية والغربية ، وكانت ثورة الجنوب المحتل إحدى هذه النتائج وكان الاستقلال الوطني من ربقة المحتل أرقاها.. أسماء نسائية كثيرة تأتي في مقدمة الحقائق التاريخية المشرفة والمشرقة في آن .. وهي التي لعبت دوراً بارزاً في الكفاح المسلح والنهوض السياسي والوطني بشكل عام .. فلا يغرنكم هذا الكم من الجمعيات الخيرية والثقافية النسائية في عدن التي لم تكن للترفيه أو التسلية ، فجلها تقريباً كانت غطاءً للعمل الوطني الشريف ، وهذا ما ميز المرأة العدنية عن غيرها من نساء أخريات مناضلات في عدد من البلدان العربية ، إذ لم تعمل مثلاً المرأة اليمنية في عدن في مجال الرقص أو الغناء أو ما شابه ذلك كغطاء لعملها السياسي .. بل كانت مشاركتها واضحة كوضوح الشمس في كبد السماء فكانت تنشئ الفعاليات الاجتماعية المختلفة وتلقي الخطابات النارية فيها كما كانت تفعل المناضلة المنسية رضية إحسان الله وكانت تسير في مقدمة المظاهرات والحشود الجماهيرية غير مكترثة برصاص المحتل أو (الجَرجَرة) إلى المعتقلات كما حدث للمناضلات الجسورات معها نجوى مكاوي وصافيناز ونورا خليفة ونجاة راجح وعيشة سعيد وليلى جبلي وأنيسة سليمان ومنيرة محمود منيباري وهيام معتوق وعادلة صالح عوض ولطيفة شوذري وكثيرات غيرهن .. ورغم ما كُتب عن المرأة المناضلة في اليمن إلا أنها تبقى نزيف حبر على الأوراق ليس إلا.. ذلك لأن المرأة اليمنية والمناضلة بالذات لم تأخذ حقها بعد في الوصول إلى مراكز صنع القرار.. وهي المراكز التي لا زال يحتكرها الرجال دون منازع، والواقع يؤكد ذلك وليس أدل على ذلك من وصول امرأة واحدة إلى البرلمان اليمني وسط 300 رجل ...ومشهديات أخرى كثيرة تؤكد أن سلطة الرجل لا زالت هي الأقوى والأعنف . فتشوا أيها السادة .. وستجدون أن الكثيرات فارقن الحياة دون عزاء، وكثيرات مهملات في زوايا بيوتهن مستورات الحال، وعدد لا بأس به منزو في ذاكرة التاريخ يشار إليه على استحياء وعدد لا يشار إليه البتّة وكأن الاقتراب منه شر ماحق .. ملكة عبد اللاه واحدة من أبرز النساء المناضلات اللاتي سجلن مواقفهن النضالية بصمت وبسرية تامة وبات السر كامناً – حتى بعد الاستقلال الوطني لأرض الجنوب اليمني – في أعماق صاحبته وفي ذاكرة (الرجال المناضلين) عقوداً إلى أن أفرجت عنه في مساء أحد الأيام منذ بضعة سنوات في لقاء أجريته معها في بيتها بمدينة كريتر بعدن .. شاءت ظروف قاهرة ألا يُنشر في حينه .. وكانت ذاكرة (الرجال المناضلين) الذين شاركتهم معمعة النضال ضد المحتل أوصدت أبوابها عن ذكرها وكأنها لم تكن وهي التي كانت المرأة الوحيدة ضمن فريق التباحث مع مندوبي التاج البريطاني في جنيف قُبيل الاستقلال .. فكيف إذن تجاهلها الرفاق ؟! وليست ملكة هي الوحيدة التي غُيبَت عن ذاكرة التاريخ فهناك رجال ونساء كثر مثلها ، إلا أن الحقيقة دائماً هي المنتصرة شاء أم أبى الآخرون وذاكرة التاريخ أقوى من ذاكرتهم، فقط ، لعلهم يفقهون . بغيرها من فتيات مدينة الحب والجمال ،عدن، كانت الاستثناء من بنات جلدتها العدنيات .. طفلة .. أحبت اللعب بالعرائس وغنت ورقصت .. إلا أنها امتلكت حساً وطنياً وحباً عظيماً لبلدها الرازح تحت نير المحتل جعلها تتميز بعقل أكبر من سنها وبتشجيع من أمها انخرطت في صفوف المقاومين والمناضلين في الجبهة القومية وهي لم تزل في الخامسة عشرة من عمرها.. لتحقت في مدرسة الراهبات كغيرها من بنات الأسر المقتدرة ، إلا أن مستواها الاجتماعي والمعيشي لم يمنعانها من تلبية نداء الواجب والامتثال للقيم الإنسانية التي تتمثل في قول الصادق الأمين " حب لأخيك ما تحبه لنفسك " ، فاقتطعت من وقتها للنشاطات الاجتماعية .. جمعت التبرعات من الأموال والمواد الاستهلاكية والغذائية من التجار لتوزعها على الأسر الفقيرة والمعوزة المنتشرة في حواري عدن وفي أكناف الجبال.. وكانت مع عدد من قريناتها تقوم بزيارة السجون ودار العجزة الوحيد الكائن في مدينة الشيخ عثمان أسبوعياً وتوزع على النزلاء ما يحتاجونه من ملابس وبطانيات ومأكولات وغير ذلك . وتتذكر ملكة قائلة " كنت عضواً بارزة في فريق الكشاف في المدرسة حيث تعلمنا الإسعافات الأولية كما كنا ننظم الرحلات ونقوم بالتدريبات الرياضية .. لقد كانت من أجمل أيام عمري .. " تصمت ملكة هنيهة لتواصل ذكرياتها المخزونة منذ أكثر من ثلاثة عقود قائلة : " تولد في داخلي شعور بالتمرد من الأوضاع القائمة آنذاك وأنا أرى الكثير من أبناء بلدي يعانون من الفقر والمرض والجهل .. وقررت أن أعمل شيئاً أفرغ ما بداخلي من كراهية للوجود الاستعماري البغيض .. انخرطت في خلية نسائية للجبهة القومية ، وتدربت على السلاح والقنص في منطقة باب المندب على يد محمود سبعة وعبد الله الدحيمي وكانت المنطقة مناسبة للتدريب العسكري حيث كنا نقوم بقنص الغزلان .. شاركت في توزيع المنشورات السياسية المحرضة على النضال ، كما كنت أقوم بإخفاء السلاح في سيارتي التي أقودها وأوصلها للفدائيين ولأن الجنود الإنجليز لا يفتشون النساء فإنني كنت بكل سهولة أمر من أمامهم وبدون أية عرقلة حتى في أحلك الظروف السياسية وفي أوج غضب جنود الاحتلال في حالة حدوث العدوان عليهم من قبل الفدائيين .. لقد شاركت في الكثير من المظاهرات كغيري من نساء عدن كما ساهمت بطوعية في نشر الوعي السياسي بين صفوف النساء " . وهنا تصمت ملكة لتتناول المرطبات الموضوعة أمامنا على الطاولة ، ثم استأنفت ذكرياتها التي لم تشخ ، وكذلك لم يحفرا لزمن على بشرتها المائلة إلى البياض ، كما لم يتسلل إلى شعرها الشيب .. في الحقيقة لم أخف إعجابي بمحافظتها على هذه النعمة الإلهية .. قالت : " في أحد الأيام وكان ذلك عام 1967م وأتذكر أنه كان يوم أعلن فيه حضر التجول إذ كانت الأوضاع متأزمة .. جاءني الأخ سيف الضالعي وأخبرني بأنه تم اختياري في قيادة الجبهة القومية للمشاركة في وفد الجبهة للتفاوض حول استقلال الجنوب، وكان سبب الاختيار كما أخبرني لغتي الإنجليزية التي أتقنها والجرأة التي أتمتع بها ونشاطي السياسي .. وكان يجب علي أن أعد نفسي خلال 24 ساعة .. كانت لعلعة الرصاص لا تتوقف في مدينة عدن وكريتر بالذات وممنوع التجوال والخروج إلى الشارع .. لكني رغم كل الظروف خرجت ووصلت إلى فندق (سي فيو) في خور مكسر حيث اجتمع الوفد المشارك والذي ترأسه الأخ قحطان محمد الشعبي الذي أصبح رئيساً لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بعد الاستقلال.. ومن هناك انطلقنا إلى المطار بالاتجاه إلى جنيف وبعلم السلطات البريطانية .. وقد بقينا فيها أسبوعان وسبب التأخير في البث هي مماطلة البريطانيين الذين كانوا يتعمدون تعطيل عدد من الاتفاقات والشروط التي كان يضعها الفريق اليمني الممثل لشعب الجنوب الحر". وتستطرد قائلة : " أشعر بالفخر لمشاركتي في ذلك اليوم التاريخي.. كنت حينها في العشرين من عمري تقريباً إلا أن حجم المسؤولية كانت أكبر مني وكنت أعيها تماماً " . أطلقت ملكة تنهيدة خافتة وكأنها أنة حزينة خرجت من أعماقها .. سألتها وماذا بعد ؟ ردت مبتسمة : " نلنا الاستقلال ولكننا لم ننل الأمان .. بدأ الأخوة ورفاق السلاح يقتلون بعضهم البعض .. دب الخلاف بينهم وتغيرت أمور كثيرة .. و كغيري من أصحاب المواقف المغايرة للأطراف الأخرى في التنظيم السياسي للجبهة القومية شعرت بالمضايقات الاستفزازية ، فتقدمت للحصول على منحة دراسية في فرنسا التي وصلتها في يناير عام 1971م لأبتعد عن الكثير من التهديدات .. والتي لم أسلم منها حتى أثناء عودتي إلى عدن لقضاء الأجازة الصيفية بين الأهل والأقارب .. وفي مطار عدن تم منعي من المغادرة والعودة إلى فرنسا وتم احتجاز جواز السفر من قبل (مباحث أمن الثورة) .. لم أدرِ إلى أين ألجأ .. حينها قررت الهروب متخفية إلى محافظة لحجَ ومنها إلى منطقة القبيطة مشياً على الأقدام وكنت متنكرة بلباس نساء الريف الأغبر ودهنت وجهي بالكركم(الهرد) وشعري بالحناء كما تفعل النساء في الريف اليمني .. ولم أكن أملك فلساً واحداً ولا طعام .. قضيت يومين في أحد البيوت هناك وفي اليوم الثالث سرت وحدي في تلك المناطق المقفرة وفي الساعة الخامسة من فجر أحد أيام السبت، وكان الناس هناك يستعدون لبدء نشاط سوق السبت، حسب التقاليد عندهم في تحديد يوم للتسوق، تمكن أحد العسكر اليمنيين من التعرف علي بعد أن شك فيّ وعرف بأنني هاربة من عدن وهمّ بتسليمي إلى السلطات في عدن لولا أن أنزل الله تعالى الرحمة في قلبه وتركني أمضي في طريقي .. إذ مشيت إلى منطقة الراهدة ومنها وجدت سيارة لمسافرين حملتني إلى مدينة تعز في الشمال اليمني .. بعدها سافرت إلى صنعاء براً ، ساعدني في ذلك أحد أعضاء جبهة التحرير المحظورة في الجنوب، وفي صنعاء وجدت بعض المضايقات عندما علمت السلطات هناك بوجودي في منزل أحد أعضاء جبهة التحرير الذي استقبلني بكل ترحيب وحفاوة وتم التحقيق معي واستجوابي من قبلها لمدة شهر كامل لكن عندما علمت السلطات بأن سبب هروبي من عدن من أجل مواصلة الدراسة وما تعرضت له من مضايقات هناك قدمت كل الدعم وذللت لي الصعوبات بأن تم استخراج جواز سفر جديد وتذكرة سفر إلى فرنسا ومبلغ 500 ريال يمني وكان هذا المبلغ يساوي الكثير حينها .. وأثناء ذلك اتصلت بالسفير الفرنسي في صنعاء وأخبرته بأنني مواطنة يمنية تحصلت على منحة دراسية في فرنسا .. ورحب بدوره بذلك وساعدني على مواصلة الدراسة وكانت السلطات في عدن ألغت منحتي الدراسية .. وهكذا درست اللغة الفرنسية في كلية الآداب في جامعة (بيزنسو) في باريس وبعد عامين من التخرج درست في معهد الإدارة الدولية في كلية العلوم السياسية – القسم الدبلوماسي – في باريس أيضاً وأثناء الدراسة تم ابتعاثي إلى (أتوه) في كندا للمشاركة في دورة تدريبية . . نلت شهادة الماجستير عام 1976م بتفوق وأحضر الآن لنيل الدكتوراه من جامعة السوربون في العلوم السياسية والإدارية ".

كان هذا اللقاء بالمناضلة الجميلة ملكة عبد اللاه قبل أكثر من عقد من الزمان ...

شقائق الرجال :ونضال الأعوام الأربعة في الكفاح المسلح ضد الاستعمار

ساء كن في عمر الشباب طالبات وفي مراحل عمرية مختلفة منخرطات في جبهات التحرير والقومية دورهن محفور في صفحات التاريخ أمثال: فوزية محمد جعفر، دعرة، خديجة الحوشبية، آمنة شرماني، نعمة الأبيض، نجوى مكاوي، عايدة علي سعيد، أنيسة الصائغ، زهرة هبة الله، فتحية باسنيد ، عيشة سعيد نالية، نجيبة محمد عبدالله، سعاد يافعي، زينب ديرية، شفيقة علي صالح، خديجة قاسم، وديعة عزعزي، وخولة شرف وغيرهن.

١٤ أكتوبر الثورة اليمنية التي قامت في جنوب الوطن عام ١٩٦٣م شاركت فيها كل الفئات ومن كل الأعمار وبمختلف الطرق والوسائل، حتى الأطفال ساهموا فيها بترديد الشعارات الوطنية في الشوارع وساروا في المظاهرات منددين "برع يا استعمار برع، من أرض الأحرار برع".

وكانت شقائق الرجال يصنعن المعجزات، غير مباليات بالخطر الذي يتعرضن له وهن حاملات المنشورات يوزعنها هنا وهناك، وينظمن المسيرات ويحمين ظهور الفدائيين ويقدمن لهم كل ما يمكن ان يسهل لهم عملياتهم الفدائية وضرب قوات الاحتلال.

أفـراح صالـح محمـد

أعدادهم لا تحصى واسماؤهن لا تنسى، رغم مرور الزمن، مازال دورهن المكمل لدور الرجال محفوراً في صفحات التاريخ، فوزية محمد جعفر، دعرة، خديجة الحوشبية، آمنة شرماني، نعمة الأبيض، نجوى مكاوي، عايدة علي سعيد، أنيسة الصائغ، زهرة هبة الله، فتحية باسنيد ، عيشة سعيد نالية، نجيبة محمد عبدالله، سعاد يافعي، زينب ديرية، شفيقة علي صالح، خديجة قاسم، وديعة عزعزي، وخولة شرف وغيرهن، نساء كن في عمر الشباب طالبات وفي مراحل عمرية مختلفة منخرطات في جبهات التحرير والقومية، ولكنهن عملن معاً في الكفاح المسلح وفق التوجيهات التي كانت تعطى لهن.

خضن مراحل النضال على مدى أربع سنوات دون خوف من الموت أو الاعتقال.

بدأت طريق النضال وأنا طالبة

قالت المناضلة آمنة شرماني، وكانت حينها احدى عضوات الاتحاد الوطني لطلبة اليمن: "شاركت في العديد من الأنشطة، وقد بدأت النضال وأنا طالبة في ثانوية البنات في خورمكسر، قمت بتوزيع المنشورات وساهمت مع زميلاتي بتنظيم المسيرات والمظاهرات الطلابية،وجمعنا التبرعات من أجل دعم الكفاح المسلح، وكنا نحضر الاجتماعات التي تحدد لنا في أماكن مختلفة حتى لا نقع بين أيدي قوات الاحتلال، وكانت معي في هذا النشاط السياسي (الذي أعتبره فخراً لي بأن أكون قد قدمت لوطني شيئاً مما استطعت تقديمه في وقت عصيب) كانت معي الفقيدة المناضلة عايدة يافعي، وفوزية محمد جعفر، كنا نتعرض للمخاطر في المظاهرات خصوصاً عندما تهاجمنا قوات الاحتلال باطلاق نيران أسلحتها على المتظاهرين، وكذلك اثناء توزيع المنشورات، لكن قناعتي كانت بأن الكفاح ضد المغتصب لأرضنا لا ينتظر منا أي مردود سوى تحقيق أهداف الثورة التي اشعلناها، لهذا كان عملي طوعياً في النضال السياسي ويكفيني شرفاً انه تكامل مع نشاط إخوتي الرجال، وتكلل بخروج المستعمر من أرضنا بعد احتلال دام ١٢٩ عاماً.

شاهدات ومساهمات

وتتذكر الحاجة خولة إحدى الساكنات في كود بيحان. الشيخ عثمان أن الفدائيين كانوا يختبئون في هذه العشش الخشبية وبين أشجار السيسبان، وكانوا يحفرون ليخفوا أسلحتهم حتى إذا ما رتبوا لعملية فدائية فانهم يخرجونها وينفذون العملية وكانت تساعدهم هي في إخفاء السلاح في عشتها، فهي لا تعيش مع أحد بعد موت زوجها على يد جندي بريطاني اعتقله في احدى المظاهرات ثم ضربه حتى الموت، لهذا ظلت هي تنتقم من قتلة زوجها بمساعدتها للفدائيين على الاختباء عندها، وإخفاء أسلحتهم في أرض عشتها.

وقالت الحاجة خولة: لم أكن وحدي أساعد الفدائيين بل أن كل أهل منطقة كود بيحان، خاصة النساء المسنات ساعدن الفدائيين لأنهن يعرفن لماذا يحارب الفدائيون الانجليز، وكن رغم فقرهن يجهزن الطعام والمأوى للفدائيين دائماً حتى لو لم يحضروا إليهن.

وأضافت: "إن الحرب لا تنتهي إلا إذا تعاون الناس على إنهائها، والحق يضيع إذا لم يطالب به اصحابه واليمن أرضنا وأرض أبنائنا من بعدنا لهذا شاركنا الرجال في الحرب ضد الانجليز".

وها هي المناضلة نعمة الأبيض تحدثنا قائلة: "كنت طالبة في الإعدادية، ومع ذلك انخرطت في صفوف الجبهة القومية ومارست العمل السري في الاتحاد النسائي للجبهة، ونشاطنا معروف في الجانب التوعوي الإعلامي وتنظيم المظاهرات وتوزيع المنشورات، وكان أحياناً في الأسرة الواحدة توجد فتاتان أوثلاث منخرطات في الجبهة القومية وجبهة التحرير، فمثلاً أنا وأختي المرحومة ليلى الأبيض عضوتان في الجبهة القومية ونشطنا بشكل كبير أثناء مرحلة الكفاح المسلح، وهناك أيضاً سميرة حامد وأختها نبيلة، وغيرنا كثيرات، وكنا نتحمل كل المصاعب من أجل ان ننفذ المهام الموكلة إلينا من قبل قياداتنا، ونساهم معهم في التمويه والتغطية للعمليات الفدائية التي ينفذها زملاؤنا الرجال.

وتتذكر المناضلة فوزية محمد جعفر عدداً من زميلاتها المنخرطات في صفوف العمل السري في الجبهة القومية ومنهن فتحية باسنيد، ثريا منقوش، نجيبة محمد عبدالله، أنيسة احمد سالم، آمنة عثمان يافعي، ومن النساء الريفيات كانت دعرة الغصب (من ردفان) تجاهر بكرهها للاحتلال وجنوده وكانت تتمنطق كالرجال وتحمل السلاح وتخوض في العمليات الفدائية بلا خوف من الموت.

وتلك خديجة الحوشبية الشهيدة التي سقت جبال الحواشب بدمها بعد أن أردتها رصاصات الغدر والاحتلال، وزينب ديرية التي عرفت كواحدة من عضوات جبهة التحرير ورضية إحسان الله، وليلى جبلي، ونفيسة منذوق وغيرهن، لم يفرق بينهن اختلاف الجبهات المنخرطات في صفوفها، بل عملن كل من ناحيتها وساهمن في الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطاني.

ثورة الشعب يحميها الشعب

ثورة الشعوب تظل مشتعلة إلى أن تنتصر إرادتهم وتتحقق أهدافهم، وكل فرد في الوطن المحتل يأبى إلا أن يعيش حراً، لهذا يساهم في الكفاح ضد المستعمر، وهنا لا فرق بين متعلم وأمي، وبين كبير وصغير حتى الرجال الفدائيين احتموا بالنساء اللواتي كن خير معين لهم، وتغطى بعض الفدائيين (بالشيدر) ليتخفوا بعد عملياتهم الفدائية، وساروا في الشوارع أمام أعين قوات الاحتلال دون أن تدرك هذه القوات أن هؤلاء النسوة هم رجال متخفين بشيدر نسائي تبرعت به احداهن لتحمي فدائياً يقاتل عدوها وعدوه، وكم شهدت شوارع منطقة الشيخ عثمان من الفدائيين المدثرين بالشيدر (يتمخطرون) مغازلين قوات الاحتلال ومستهترين بهم وبحيلهم. كما قالت الجدة لولة محمد.

وَزَارَة الداخليَّة

المواطن الكريم :

نشكر لك امتناعك عن حمل السلاح والتجول به

حمل السلاح و إطلاق النار يؤدي إلى :

- خسائر بشرية
- إقلاق للأمن والسكينة
- إعاقة للتنمية
- تشويه لصورة الوطن

لنتعاون من أجل وطن آمن ونفوس مطمئنّة

بالإبلاغ عن أية مخالفة على الرقم« 199 »

في كافة محافظات الجمهورية

وكل عام وأنتم بخير

مع تحيات : العلاقات العامة